مطبوعات حديثة

تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني

تأليف عيسى اسكندر المعلوف — مطبعة الرسالة اللبنانية — جونية « لبنان »

سنة ١٩٣٤

الأستاذ البحاثة عيسى اسكندر المعلوف من أكثر علمائنا ولعاً وأشدهم جلداً في التنقيب عن تاريخ بلاد الشام والبحث عن اصول سكانها وانساب أسرها وتراجم عظمائها. وقد وضع أخيراً تاريخاً مطولاً للأمير فخر الدين المعني الثاني حاكم لبنان في القرن الحادي عشر الهجري « ٩٩٩ — ١٠٤٥ » يقع في ٤٤٦ صفحة من القطع المتوسط وفيه كثير من صور الاشخاص والأماكن التي ورد ذكرها في الكتاب.

بدأ المؤلف بحثه بذكر أحوال لبنان في زمن الفتح العثماني وانتقل الى بيان نشأة الامير المترجم ومنذ سنة ٩٩٩ وحروبه مع آل سيفا وغيرهم. ثم نقل عن الشيخ أحمد الخالدي الصفدي، أحد كتاب الأمير ومعاصريه، سفره سنة ١٠٢٢ إلى إيطاليا وما جرى له فيها وما شاهده من العمران والشؤون. ثم ذكر عودته إلى لبنان بعد غياب خمس سنوات وامتداد حكمه من حلب الى العريش واستفحال أمره ونزوعه للانفصال عن الدولة والاستقلال في لبنان، فارسلت جيشاً شتت شمله وقبض عليه وعلى أسرته وبعثه الى الاستانة فأعدم فيها سنة ١٠٤٥. ثم شرح المؤلف أخلاق (المعني) وعاداته واسماء اولاده وتراجمهم والقلاع والقصور التي شادها في مختلف المدن الشامية ومعاهداته ومراسلاته وكيف انتهى حكم أعقابه. وقد استند في كل ذلك الى كتب ورحلات قديمة وحديثة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ووثائق مطبوعة ومخطوطة في مختلف اللغات جلها من النوادر التي لا يصل اليها الا من أُوتي دؤوب الاستاذ المؤلف وشغفه بمثل هذه الابحاث الدقيقة .

ويستخلص من كل ذلك ان الامير المترجم كان نابغة عصره وقريع دهره في مزاولة الحكم وبسط السيطرة والنفوذ وفي إشادة الحصون والقصور وما اليها من معالم العمران ودعائم السلطان . الا انه لما ساد بغى ، واستغنى طغى ، فاكثر من استصفاء الاموال وخزنها دون جدوى ، واساء التدبير مع احلافه واتباعه من امراء بلاد الشام وسكانه فخذلوه في قيامه على الدولة ، كما انه اخطأ في توزيع جنوده وتقسيم الاعمال بين قواده حينما شرع يناجزها ، فحبط عمله في الحرب والرئاسة كما حبط في السياسة مذ ان جافى الاقارب ووافى الاجانب واعتمد على وعود هؤلاء وعهودهم فكان مثال الاخفاق وعبرة المعتبر .

ويستخلص ايضاً ان خبر التنصر المنسوب الى هذا الامير موضوع ، أشاعه وقتئذ خصومه من ابناء بلاده الذين قاموا لايغار صدر الدولة عليه حينما وقع في نفسه الخروج عن طاعتها ، والنقط هذا الخبر وقيده بعض الأدباء الكبوشيين وغيرهم من كتبة الافرنج المعاصرين للمعني (ص ٢٥٦ و ٢٥٧) لموافقته أهواءهم . عللوا ذلك بتدابير ادارية وسياسية كان يتخذها توصلاً لمطامحه البعيدة كتعاقده مع قناصل الافرنج وتساهله مع رهبانهم وتجارهم ومحاسنته نصارى بلاده واستخدامه بعض نبهائهم وسفره الى ايطاليا وطلبه معونة امرائها . وقديماً كانوا إذا أرادوا النيل من شخص سلبوه صفاته واتهموه بالمروق من الدين كما صاروا في عهدنا يتهمون من يريدون زوال النعم عنه بالمروق من الوطنية . والدين والوطن كانا وما برحا يتجر بهما متجرون كثيرون . أما الواقع فالمعني لم ينحرف عن الاسلام وشعائره حتى في ايطاليا فقد كان له في نابولي مؤذن وامام واتخذ جامعا عمل له مأذنة (ص ١٩٥) كان يصلي هو وجماعته فيه ، وكان يصوم رمضان هو وعياله وحاشيته حتى في اشد أيام الحر (ص ١٩٨) وهم ركوب في السفن الراسية التي لم تسمح لها دوقة نابولي بالسفر الا بعد لأي ، وكان اذا اقسم يقسم بطيبة أي المدينة المنورة وزمزم والنبي المختار (ص ٢١١) . فرجل هذا مبلغه ومبلغ اسرته من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

التمسك بدينه في أيام محنته وديار غربته هل يعقل ابتعاده عنه بين آله وفي عقر داره وإبان علو شأنه . والاستاذ المؤلف يرجح رأيا « ص ٢٥ » وان لم يبت بذلك .

وثمة في الكتاب بعض ملاحظات فطنت اليها ؛ منها كلمة (كركور) شقيق السلطان سليم « ص ٦ » صوابها قرقود بضم القاف . وكلمة باياس « ص ١٢١ » ظنها بانياس القريبة من اللاذقية في حين أن هذه غير تلك ، فباياس المقصودة في الكتاب قريبة من الاسكندرونة وفي شماليها وهي اليوم آخر بليدة تركية متاخمة لبلاد الشام الحالية ، وقد وصفتها في كتابي « جولة اثرية في بعض البلاد الشامية » في الصفحة ٥٤ . ومنها في « ص ٢٣٩ » عبارة « ولا سيما القلعة التي شمالي الشماميس تجاه حلب والتي فوق انطاكية ، وهذا التحديد خطأ ، وقد ورد أيضاً في تاريخ الامير حيدر الشهابي « ص ٧١٦ طبع مطبعة السلام بمصر » وخطط الشام للاستاذ الكرد علي « ج ٢ ص ٢٦٣ » وعبارتهما هكذا ؟ « شمالي قلعة شماميس مقابل حلب على كتف الروح » ، في حين أنه ليس تجاه حلب ولا فوق انطاكية ولا تحتها ولا في كتف الروح مكان اسمه شماميس ، بل هذا الاسم مختص بقلعة شميميس الواقعة قرب سلمية وفي غربيها ولا تزال اطلالها ماثلة ، وقد وصفتها أيضاً في كتابي المذكور في الصحيفة ٢٨٩ . على أنني قد استغربت قيام الامير المعني إلى ترميم هذه القلعة المقامة لصيانة سلمية ، لأن سلمية وهي على سيف البادية كانت في عهد المعني خرابا يبابا لا تستدعي تلك الصيانة ولحظت أيضاً ان الاستاذ المؤلف وقع في نفس الحيرة التي وقعت فيها قبلاً في تحقيق نسب آل الحيار الذين كانوا امراء أعراب الشام في عهد المعني . فقد اضطرب المؤرخون في كتابة اسمائهم فقالوا مرة الحيار واخرى الجبار او الجيار . إلى أن ثبت لي اخيرا ومصادفة اثناء مراجعتي رحلة ابن بطوطة « ج ١ ص ١٠٨ طبع مطبعة التقدم في مصر » أن هذا الاسم بكسر الحاء واهماله ، وأن حياراً هذا هو ابن الامير مهنا بن عيسى بن مهنا آل الفضل الربيعي المدفون هو واخوه قرب سلمية ، فيكون الحياربون اسلاف آل أبو ريشة أمراء قبيلة الموالي المعروفة في عهدنا في شمالي الشام ببسالة أفرادها وعلو منزلة أمرائها كما بينت ذلك في كتابي المذكور أيضاً في الصفحات ٢٨٠ و ٢٩١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا و كتاب الاستاذ المعلوف مترع بفوائد جغرافية وتاريخية جمة درجها في تعاليق وحواش كثيرة على الاشخاص والاماكن والاحداث التي ذكرت في المتن ، دلتنا على عنايته في تمحيص الشؤون العائدة لغابر بلاد الشام وحاضرها ، وحملتنا على إسدائه الثناء العطر راجين له أن يوفق إلى طبع مؤلفه الكبير الذي دعاه « الأخبار المروية في انساب الاسر الشرقية ».

وصفي زكريا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net